الأَديبْ و المُفَكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد
عهد الله

الحلقة الثالثة

مقدمة البرنامج.....

مؤثرات:

أحمد: هذا غير معقول يا أستاذ مساعد؟

مساعد: ولماذا هو غير معقول؟ أوَليس أن مهمتنا التربوية هي العمل على تنمية الملكات والقدرات وتطوير المواهب؟

أحمد: والمقرر يا أستاذ مساعد ماذا نفعل به؟

مساعد: اسمع يا أستاذ أحمد.. أنا معك في أن المقرر شيء هام جداً. لكن المقرر ليس كتاب مقدساً ولا هو وحي من السماء. لقد وضع المقرر ليكون وسيلة لإثراء التفكير عند طلابنا ولتشجيع المواهب فهو وسيلة لا غاية.. فإذا أدى الغرض منه فهو صالح وإذا تعارض مع ظهور الموهبة فهو غير صالح.

أحمد: هل هذا يعني أنك تقترح إلغاء المقرر وترك الأمر فوضى بين الطلاب يدرسون كما يشاؤون ويختارون ما يعجبهم من المواد الدراسية؟

مساعد: أنا لم أقل هذا أبدا. إن نسبة من المقررات تبقى ضرورية لا غنى عنها لكنني أنادي بفتح الأبواب مشرعة أمام النشاط الطلابي. إنني أنادي بتشجيعهم على البحث والتأمل ومواجهة وقائع العلوم والأفكار الخاصة بدراستهم. يجرون التجارب ويقرأون ويناقشون ويتعلمون اكتشاف الحقائق ووضع القوانين والنظريات أو تحقيقها بأنفسهم.

أحمد: والأساتذة ماذا يفعلون؟ ولماذا هم أساتذة؟

مساعد: الأساتذة هم طلاب مثل طلابهم مع فارق واحد هو أنهم أكثر تجربة منهم وأقدم عهداً في التعامل مع ميادين المعرفة. إن مهمتهم أن يراقبوا الطلاب وأن يشرفوا على المناقشات وأن يعينوهم على اتخاذ المنهج السليم. إن الأستاذ يا أخ أحمد هو البوصلة التي تعين الطريق أما الطلاب فإنهم الذين يجب أن يقوموا بالقسم الأكبر من مهمات الرحلة في طريقهم إلى المستقبل.

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

أحمد: هذا يا أستاذ خط جديد لا عهد لنا به من قبل. فما الذي يدفعك إلى المناداة به؟

مساعد: نعم هو جديد. لأنّ المسؤوليات المترتبة على أجيال المستقبل جديدة. أما الذي يدفعني إلى المناداة به فهو إيماني بأن الحرية بهذا المعنى هي سبيل المعرفة. نحن باختصار لا نريد أن نحشو رؤوس الطلاب ونثقل ذاكرتهم بالمعلومات وحسب بل نريدهم أيضا أن يتعلموا كيف يفكرون وكيف يتعاملون مع الطبيعة وكيف يبحثون عن الحقيقة. وبتعبير آخر نريد أن نضع تحت تصرفهم آلات التفكير السليم وأدوات البحث الموضوعي ومناهج المعرفة السليمة.

أحمد: لكن الطلاب تنقصهم التجربة أنهم في حاجة لمن يتولى كل كبيرة وصغيرة من شؤونهم.

مساعد: كلا يا أخ أحمد. أنت تقلل من شأن الإنسان حين تنادي بهذا الرأي. لقد انقضت على أمتنا قرون عديدة كان فيها الطلاب يحشون ذاكرتهم بالمعارف التي تقدم إليهم فإذا بهم يخرجون وكأنهم نسخ جديدة لكتب قديمة. من أجل ذلك تخلفت أمتنا ولم تستطع اللحاق بغيرها من الأمم المتقدمة.

أحمد: لقد قرأت كتاب الله كله من ألفه إلى يائه فلم أجد شيئا مما تقول به؟

مساعد: أمرك عجيب يا أستاذ أحمد.. هل تقول لي: من هم الذين توجه إليهم الوحي بخطابه؟ أوَليسوا هم الناس كافة؟ هل تقول لي: لماذا ارتبطت صحة العقيدة بحرية الاختيار؟ أوَليس ذلك لأن الإنسان في رأي القرآن جدير بالقدرة على الاختيار؟ وهل تقول لي: لماذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يشارك في محاورة كل الناس من كل الطبقات ويسمع ويطيل السماع أكثر مما يتكلم؟ أوَليس هذا كله دليلاً على احترامه للعقل الإنساني؟

أحمد: أعتقد أن البت في هذا الموضوع يحتاج إلى لقاء آخر.

مساعد: كما تشاء يا أستاذ أحمد. وأنا تحت تصرفك في الوقت الذي تختاره..

نقلة موسيقية.....

خالد: شكرا يا أستاذ مساعد على ما قدمته إلينا من حكاية هذا الحوار الذي جرى بينك وبين الأستاذ أحمد. لكن الذي لفت نظرنا أنك تحدثت عن الجمود العلمي في القرون الأخيرة فهل تقول لنا ما هو الفرق بين واقع المعرفة في هذه القرون من السنين وبين واقعها في قرون سابقة من السنين؟

مساعد: بكل سرور يا خالد.

خالد: وقبل أن تجيب عن السؤال هل تعني بهذا أن المسلمين عرفوا فترة من التاريخ حققوا فيها الصورة الصحيحة للمعرفة؟

مساعد: طبعا يا خالد.. وهل تتصور أن أمة تخرج إلى العالم من الصحراء برسالة من السماء وبمنهج عقلي متحرر وبقلب مفتوح تواجه به الشعوب والطبيعة والكون لو لم تكن مسلحة بحرية السعي إلى المعرفة وحرية البحث عن الحقيقة والجرأة على اقتحام كل المجاهيل وعلى وضع علومها في ضوء مبدأ"التجربة والخطأ"؟

سعيد: كيف ذلك يا أستاذ مساعد؟

مساعد: ولماذا أجيبك أنا يا سعيد. إنّ الأجدر بك وبإخوانك أن تتولّوا الإجابة أنتم بأنفسكم؟

سعيد: ألا تساعدنا على الإجابة؟

مساعد: طبعاً.. قل لي يا سعيد.. متى كان عصر ازدهار التشريع الإسلامي وظهور كبار الفقهاء من أصحاب المذاهب المبدعين؟

سعيد: كان ذلك في القرون الإسلامية الأربعة أو الخمسة الأولى.

مساعد: أحسنت. فهل تسمي بعض أصحاب المذاهب؟

سعيد: إنهم كثيرون.. كان منهم أبو حنيفة النعمان ومالك بن أنس ومحمد بن إدريس الشافعي وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وأبو عمرو عبد الرحمن الأوزاعي.

مساعد: هل تقول لي أسماء بعض الرجال الذين أسهموا في مواجهة قضايا الفكر بحرية تامة؟

خالد: كانوا كثيرين أيضا ، منهم النظام والجاحظ والباقلاني والأشعري والإمام الجويني والغزالي وعشرات بل مئات من أمثالهم..

مساعد: حسن فلماذا انقطع أمثال هؤلاء الرجال عن الظهور في العصور المتأخرة؟

خالد: لست أدري.

سعيد: أنا أدري يا أستاذ مساعد.

مساعد: قل لي يا سعيد.

سعيد: السبب في هذا الانقطاع هو أن المتقدمين لم يتركوا باباً من أبواب المعرفة لم يفتحوه فاقتصر المتأخرون على تقليدهم عجزاً عن مجاراتهم.

مساعد: وما هو سبب هذا العجز؟

سعيد: هو افتقادهم لشروط الاجتهاد والإبداع عند المتقدمين.

مساعد: هل توافق يا خالد على هذا الرأي؟

خالد: الحقيقة أنني في حيرة يا أستاذ مساعد.

مساعد: حسن.. أنا أقول لكم حقيقة هذه الشروط التي تشيرون إليها. الحقيقة أنه ليست هناك شروط بل شرط واحد.

خالد: وما هو هذا الشرط؟

مساعد: إنه فقدان المتأخرين للإيمان بواجبهم في الاجتهاد وحقهم في البحث عن المعرفة. فلو صح ما يزعمه بعضهم من أن الأولين لم يتركوا شيئا للمتأخرين لوجب أن نقرر بأن المفكرين والمبدعين في علوم الدين والدنيا قد أعطوا ما أعطوه لأن من سبقوهم قد قصروا في العطاء وهذا غير صحيح. أيها الأبناء إن لكل عصر مشكلاته. وإن لكل جيل أسلوب حياته. وقد جاء القرآن يعلم الناس حقائق معينة ثابتة كما جاء يعلمهم كيف يبحثون عن الحقيقة فيما يستجد من الأحداث والوقائع.

سعيد: هل تعطينا مثلاً على ذلك؟

مساعد: هناك أمثال كثيرة: لعلكم تذكرون ما أشار إليه المصطفى صلى الله عليه وسلم حين رد على بعضهم زعمه بأن الشمس قد كسفت لوفاة إبراهيم ولد النبي عليه السلام: لقد قال ما معناه: أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد. ثم لم يزد على ذلك. لأن ما قاله كافٍ لإلغاء أسطورة كانت جديرة بإفساد العقول فيما لو سكت عن الزعم الذي زعمه بعضهم بشأن العلاقة بين كسوف الشمس ووفاة طفله إبراهيم.

خالد: وماذا بعد يا أستاذ مساعد؟

مساعد: ثم مضت سنوات اتضح فيها معنى قوله صلى الله عليه وسلم أنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله. فاكتشف علماء الفلك ما يؤكد قوله وتبين لهم أنّ كسوف الشمس وخسوف القمر خاضعان لقوانين فلكية لا تتغير ولا تتبدل. وربطوا بينهما وبين ما قرره كتاب الله في آية أخرى حين قال:"لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ"..

سعيد: شكراً لك يا أستاذ مساعد على الحقيقة التي لفت إليها أنظارنا.

خالد: هل نفهم من هذا الكلام أن حرية الاجتهاد والإبداع والإتيان بالجديد من المعارف ما تزال حقاً لكل جيل؟

مساعد: إنها ليست حقاً وحسب بل هي واجب يا بني. إن الأمة التي تجبن عن استعمال العقل المنفتح وترفض التعامل مع الطبيعة واكتشاف قوانينها أمة تحكم على نفسها بالفشل فهي لا تستحق الحياة. فإذا كان الإيمان مشروطاً بحرية الاختيار المسؤول ومرتبطاً بالتفكر في خلق السماوات والأرض أفلا تكون الحقائق والمعارف الأخرى مشروطة بهذه الحرية؟ إن الحرية بهذا المعنى أيها الأبناء عهد عهد به الله إلى عباده من تنكب عنه وقصر

عن القيام بواجبه فقد خاب وخسر وضاع. إن سر الإيمان العظيم هو في القدرة على تجديد المعارف في ضوء ما نمارسه من التجربة وفي حدود ما تعلمناه من كتاب الله. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله.